الصنف السادس: الدعاة المندسون في الصف (المنافقون)

وهذا الصنف أخطر صنف في صفوف الدعاة، وهم العملاء لجهات عَدُوَّةٍ للإسلام، سواء كانت داخليةً أو خارجيةً، وهذا ما يُعرف في المصطلح الحديث باختراق الصفوف.

وقبل الحديث عن هذا الصنف أحب أن أشير إلى أنه لا ينبغي المبالغة في تفخيم أمرهم، أقول ذلك لأني رأيت كثيراً من الدعاة يكاد يفقد الأمل في الدعوة إذا بلغه وجودُ عملاء في الصف اعتقاداً منه أن ذلك دليلٌ على فشل الجهود في الدعوة، وضياع العمر في غير معنى، فكشف بعض أسرار التنظيم الإسلامي لايلزم منه بالضرورة فشل التنظيم في الوصول إلى أهدافه لدليل أنه كان في صحابة رسول الله في المدينة المنورة ـــ والرسول بين ظهرانيهم ـــ مجموعةٌ من المنافقين، يشاركونهم في كل شيء، فينقلون كل تحركاتهم للأعداء، وقد أخبرهم الله ذلك بالوحي المنزل عليهم، بل قد كان النبي ﷺ يعرفهم بأسمائهم، ومع ذلك واصلت الدعوةُ مسيرتها تُحقِّق النجاح تلو الآخر لأن تأثير مُخْلِصٍ واحد أقوى من عرقلة عشرات المعرقلين، فما كان لله بقي، وما كان لغيره اضمحل، واندثر فإن لم نستطع من وجود العلماء، فلنحرص على حرمان العملاء من تحقيق أهدافهم مع وجودهم.

ولو أن كلَّ المؤامرات التي تحاك ضد الدعوة تُحقق أهدافها حسب الخطة المرسومة لكان كافياً في اجتثاث الدعوة من أساسها، فالإنسان مُكلَّف بأن يعمل بما يقدر عليه من الأخذ بالأسباب الممكنة، ثم يَكل الأمرَ إلى الله، فهو الذي يتولى الصالحين، فلا يستسلم للخوف من الاختراق، فيحرم من العمل لأن الخوف الزائد يُفقِد المرء الثقة في كل أحد.

نحن لا نُقلِّلُ من خطورة وجود عميل، أو عملاء في صفوف التنظيمات الإسلامية بقدر ما نحذر من المبالغة فيه، وكأن وجوده نهاية العمل الإسلامي، بل أستطيع أن أزعم أنه من الصعب منعُ وجود هؤلاء العملاء في صفوف الإسلاميين في هذا العصر لأننا في عصر العولمة، وتطور التكنلوجيا الهائل، فمن الممكن جداً دسُّ شخص، أو أشخاص في تنظيم إسلامي عريض تمتد خريطة عمله في مساحات شاسعة، وينتمي إلى عضويته آلاف من الناس في مختلف الأعمار، فمن طبيعة الحال أن يكون من بين هؤلاء مَن هو عديم

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الضمير يبيع دينه بعرض من الدنيا زائل، فلا يتطلب توظيفه كثيراً من الجهد والوقت للقيام بتلك المهمة القذرة مقابل منافع دنيوية.

فإذا صُعب على الدول الكبرى التي تمتلك كلَّ الإمكانات اللازمة أن تحتفظ بأسرارها لفترة طويلة، فيتم اختراق أنظمتها بين فينة وأخرى فكيف بالعمل الدعوي، ولهذا تحرص الدول أن تمنع العدوَّ من الاستخدام بتلك الأسرار بعد كشفها للإضرار بها، فإذا كان ذلك ممكناً في حق الدول الكبرى، فكيف بميدان الدعوة التي هي في الأصل عمل تطوعي يشارك فيها شرائح من المجتمع في مستويات مختلفة، فلا يتصور أن يبقى الشيء المشترك سراً بحيث لا يعلم به إلا الدعاة.

ولهذا ينبغي أن تكون أهداف العمل الإسلامي ووسائله عامةً معلومةً للجميع، والعمل بها في وضح النهار على أن تُستبعد منها كتابة النقاط المستقبلية التي لا تتوفر لها الإمكانات لتنفيذها، ويكفي أن تبقى في ذاكرة القيادة، حتى لا يجد العملاء ظهوراً يتسلقون عليها إلى الإضرار بالدعوة، وليس لازماً أن يُكتب كل الخطوات التي تمرُّ بها العملية الدعوية من بدايتها إلى نهايتها بل لكل جيل أن يضع لنفسه من الأهداف ما يتناسب مع حجمه وظروفه المحيطة به، فإن الله لا يُكلِّف نفساً إلا وسعها، ولا داعي من استثارة الأعداء بذكر أشياء تثير حفيظتهم على الدعوة وأهلها، وهي بعيدة المنال في الوقت الحالي مع ما قد يترتب على ذكرها من التبعات الثقيلة علماً بأن الأهداف قابلة للتجزئة، وأن المعسور منها يترك من أجل تحقيق الميسور.

وليس عند الدعاة شيء يخفونه عن العالم، فأهداف الدعوة الإسلامية منصوصة عليها في كتاب الله ومشروحة في سنة رسول الله ﷺ، وإنما المطلوب منا أن نضع من الوسائل ما يوصلنا إلى تلك الأهداف من أقرب طريق، وبأقل تكلفة.

خطورة العميل تكمن فإن الجهات التي تقوم بتوظيف العملاء لا تُوظِّف كل من يُبدي استعداداً لقبول تلك الوظيفة بل تختار بعناية من يَصلح لهذه المهمة، ولديه قدرٌ كافٍ من الدهاء والمكر مع الجرأة اللازمة في استخدام كل الموبقات في سبيل الوصول إلى هدفه، وغالبا يتم استهداف لمن هم في المناصب الحساسة في التنظيمات الإسلامية لأن ذلك يُسَهِّل عليه القيام بالمهمة، لأنه صاحب القرار، فيستخدم نفوذه لتحقيق مهامه إضافة إلى

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الدعم الذي يلقاه مما يجعل نشاطه داخل التنظيم بارزاً، فيتمكن من التأثير على كل الأفراد وتسخيرهم لخدمة أهدافه من حيث لا يشعرون.

وهناك طرق عديدة لدسِّ العملاء في صفوف التنظيمات الإسلامية: أبرزها أن يؤمر العميل، وهو خارج التنظيمات الإسلامية بأن يُظهر صلاحاً في نفسه وإقبالاً منقطع النظير على العبادات، والشعائر التعبدية لتتنافس إليه التنظيمات الإسلامية، فتطلب كلٌّ منها أن ينضم إليها في صفوفها، ولا ينضم إلى إحداها حتى تأتي إليه التوجيهات العليا بأن ينضم للفصيل الفلاني الذي يرونه أنه أنشط في الساحة من غيره، فيتم غرسه فيهم، فيشرع في نقل كلِّ أنشطتهم بالتفصيل ليصير بمثابة سوس ينخر في عظام الأمة، وحتى يُبعِد التهمة عن نفسه، يجتهد في فعل الطاعات، والتفاني في خدمة الدعوة بكل السبل الممكنة عليه.

وقد تابعت أنا شخصياً مقابلة أُجْرِيتْ لعميلٍ تابعٍ (لسي آي أي) الأمريكية، فكان مما قال: إنه أُمِرَ من قبل المخابرات أن يذهب إلى أحد المراكز الإسلامية ليعلن إسلامه، ثم يرتبط بالمركز يتعلم الإسلام، ويحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، وذكر من بين التوجيهات التي صدرت إليه أن يُمرِّغ جبهته بالأرض حتى يظهر عليها آثار السجود ليزداد بذلك ثقة المسلمين فيه.

ويمكن توظيف أحد الدعاة في داخل التنظيم عن طريق ذلك العميل السابق، فيقوم بدراسة أحوال الدعاة ونفسياتهم لقصد ترشيح من هو ضعيف الشخصية كبير الطمع بحيث يمكن إغراؤه بالمال، فيرفعه للجهات التي يبتعها هو، فإذا أبدى لها استعداده للقيام بالمهمة تواصلوا معه من غير طريق العميل الأول لتعريفه بالمهام التي تُناط به، وعلى الكيفية التي يؤدِّي بها، فإذا اطمأنوا إليه في أعماله، ووصل معهم إلى طريق يصعب عليه العودة منه، عندئذ يتم تعريفُه ببقية العناصر المندسة في الصف ليعملوا كفريق ليسهل عليهم تخريب الدعوة من الداخل بأيدي أبنائها دون كلفة.

وإن أكبرَ اختراقٍ للصف الإسلامي من قبل العملاء إيجاد تيار معيَّن يتحرك تحت إشراف العملاء، وتوجيهه لشق الصف الإسلامي، وتخريبه من الداخل بحيث لا يعرف معظم المنتسبين لهذا التيار أنهم ضحية لتلك المؤامرة، فيقومون بتلك الأنشطة التخريبية بدافع التدين والإخلاص، فيتفانون في تنفيذ ما خُطِّط لهم بحماس لاعتقادهم أنهم يُرضون

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الله بها، وهذا التيار يَلقى دعماً منقطع النظير، فحتى لا تحوم حول ذلك الدعم أيةُ شبهة يتم التنسيق مع جهات معروفة لايشك في نزاهتها لإيصال الأموال اللازمة إلى ذلك التيار ليتفرغ للمهام الموكولة إليهم حسب الخطة المرسومة له.

فهذا التيار عادة منسجم مع كلِّ الأنظمة التي تعادي الإسلام، فهو مع الدول الكافرة في صمت مطبق، فلا يتحدث عنها سلباً، ولا إيجاباً، فكأنهم غير موجودين في الكون، وإن كان من الأنظمة القائمة في البلدان الإسلامية، فهو شديد الدفاع عنها، بل يُسدل عليها من الألقاب والأوصاف ما لا يتصف به إلا الخلفاء الراشدون، وفي الوقت نفسه فهو شديد العداوة لكل التنظيمات الإسلامية، وما يتصل بها، فكل جهوده مصروفة في هذا الاتجاه، ولا يعترف لأحد غيرهم أنه يعمل للإسلام، بل يرى أن ضرر التنظيمات الإسلامية أشد على الإسلام وأهله من ضرر الأعداء عليه، وفي نظره أن أيَّ جهود تُصرف في غير محاربة التنظيمات الإسلامية مضيعة للوقت، فهدفهم الأول والأخير هو تصفية أيِّ عملٍ إسلاميٍ خارج جماعتهم.

فالعميل يترقَّى في سُلَّم الهيكل التنظيمي للدعوة حتى ينتهي أمره، إما بانتهاء وظيفته، ثم الاستغناء عنه، أو بانكشاف أمره، ثم طرده من التنظيم، وهذا يحدث كثيراً لأن العميل وإن قدر على إخفاء نفسه فترة من الزمن لكنه لا يقدر أن يستمر على ذلك، ففلتاتُ لسانه، وسقطات أفعاله تُرشد الأريبَ إلى معرفة ما يخفيه قال زهير بن أبي سُلمى:

ومهما يكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم.

وقد جرت سنةُ الله في عباده أنه (لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) لهذا فمعظم المؤامرات لا تُحقِّق أهدافَها، بل تعود في كثير منها بالضرر على أهلها، ولو أننا توكلنا على الله حق توكله مع أخذ الأسباب الممكنة لما وجدت تلك المؤامرات طريقاً تَنفُذ منه إلى الدعوة وأهلها لأن الله يحمينا منهم قال تعالى:(والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً).

وهناك أَمَاراتٌ تساعد على كشف العملاء تتمثل في تصرفاتهم لكونهم غير واثقين من أنفسهم لأجل الخوف من انكشاف أمرهم، فيتوجسون خيفةً من كل حركة (يحسبون كل صيحة عليهم) فأقوالهم مضطربة، وأفعالهم غير متزنة، فلو قال أحد المسئولين من باب

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

جَسٍّ نبضهم إننا نتابع أفراداً من التنظيم تحوم حولهم الشبهات في نقل المعلومات، فهـــذه العبارة قد تخلط على العميل جميع الأوراق، وقد تحمله على الهروب ظناً منـــه أن أمـــره انكشف، وقديماً قيل (كاد المريب أن يقول خذوني).

كل تنظيم إسلامي يفترض أن يكون لديه جهاز أمني، مهمته التعقب لتلك العناصر المندسة في الصفوف بكل الوسائل الممكنة، فهم أضعف مما يتصور قال تعالى: (إن كيـــد الشيطان كان ضعيفاً) فبمجرد متابعتهم، أو مرافقتهم في سفر تتكشف حقيقتهم، فيظهر أن العميل عبارة عن أشخاص في شخص واحد، فالتخلُّقُ ليس كالخلق (ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم).

بقلم الدكتور/ عمر إيمان أبو بكر

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional